مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال ٢٦:١، ١٢–٢٠)

في تلك الأيامِ قالَ الملكُ أغريبا لبولسَ مأذونٌ لكَ أن تتكلّمَ عن نفسِك. فحينئذٍ بسطَ بولسُ يدَهُ وطفِقَ يحتَجُّ. لمَّا انطلقتُ وأنا على ذلكَ إلى دمشقَ بسُلطانٍ وتوكيلٍ من رؤساءِ الكهنة* رأيتُ في نِصفِ النهارِ على الطريقِ أيُّها الملكُ نوراً من السماءِ يفوقُ لمعانَ الشمس قد أبرقَ حولي وحولَ السائرينَ معي* فسقطنا جميعُنا على الأرضِ وسمعتُ صوتاً يُكلِّمني ويقولُ باللغةِ العبرانيةِ شاولُ شاولُ لِمَ تضطهدُني. إنَّهُ لصعبٌ عليكَ أن ترفِسَ مناخس* فقلتُ مَن أنتَ يا ربُّ. فقالَ الربُّ أنا يسوعُ الذي أنتَ تضطهدُهُ. ولكنْ قُمْ وقِفْ على قدَمَيْك. فإنّي لهذا تراءَيتُ لك لأنتخبَك خادِماً وشاهِداً بما رأيتَ وبما سأتراءى لكَ فيهِ* وأنا أُنجّيكَ من الشعبِ ومن الأممِ الذينَ أنا مُرسِلُكَ الآنَ إليهم* لِتفتَحَ عيونَهم فيرجِعوا منَ الظُلمةِ إلى النورِ ومن سُلطانِ الشَّيطانِ إلى اللهِ حتى ينالوا مغفرةَ الخطايا وحظاً بينَ المقدَّسينَ بالإيمانِ الذي بي* فمِن ثمَّ أيُّها الملِكُ أغريبا لم أكُن

القديس باسيليوس الكبير والحياة الرهبانية

تحدثنا سابقاً عن نظام الحياة الرهبانية المشتركة التي كتب قوانينها القديس باخوميوس الكبير (أوائل القرن الرابع ميلادي) والتي تقوم على مبدأ الخدمة، خدمة الآخرين المقرونة بالمحبة المسيحية، حيث يكون الرئيس مثال الرهبان في تحقيق هذا المبدأ، آخذين صورة الحياة المشتركة التي عاشها الرسل في الكنيسة الأولى هدفاً.

بالإضافة إلى نظام الحياة الباخومية، الذي نشأ في مصر، وضع القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكيا في آسيا الصغرى (تركيا الحالية)، وفي أوائل القرن الخامس ميلادي، نظاماً رهبانياً آخر عُرف لاحقاً بنظام الرهبنة الباسيلية، والذي صار فيما بعد أساس التقليد الروحي في الكنيسة الأرثوذكسية. فالأنظمة التي ترعى الأديرة في أيامنا الحاضرة تقوم بشكل أساسي على النظام الذي وضعه القديس باسيليوس، مع بعض التعديلات التي أُدخلت عليه من قِبَل القديس سابا والقديس ثيودورس الستوديتي والتقليد الآثوسي في القرن الرابع عشر وبايسي فاليتشيكوفسكي في أواخر القرن الثامن عشر.

وضع القديس باسيليوس ثلاثة مؤلفات ضمّت قوانين الحياة الرهبانية أولها كتاب «الأخلاق» الذي هو مجموعة من ثمانية أنظمة أو إرشادات أخلاقية مدعومة بشواهد من العهد الجديد. ومع انه عملٌ موجّهٌ إلى المسيحيين عامة إلاّ أنه يحوي توجهاً نحو الحياة الرهبانية. أما الكتابان الآخران فهما عبارة عن مجموعتين من القواعد التي هي إجابات على أسئلة طرحها الرهبان على القديس باسيليوس عندما كان يزورهم. الكتاب الأول هو «القواعد المفصّلة» ويبحث في مبادئ الحياة الرهبانية، والثاني هو «القواعد المختصرة» ويبحث في التطبيقات العملية اليومية لحياة الشركة.

لقد كان القديس باسيليوس أحد أعظم منظمي الحياة الرهبانية وهو مؤسسها في آسيا الصغرى، وقد رأى أن أظهر شكل للحياة الرهبانية هو الحياة المشتركة، مع أنه لم يرفض مبدأ التنسك، أي الحياة المنعزلة.

العدد ٢٠٠٦/٢١
الأحد ٢١ أيار
أحد السامرية
تذكار القديسين العظيمين في الملوك والمعادلي الرسل قسطنطين وهيلانة
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

مُعاصياً للرؤيا السماوية* بل بشَّرتُ أولاً الذينَ في دِمشقَ وأورشليمَ وأرضِ اليهوديةِ كُلِّها ثمَّ الأُممَ أيضاً بأن يتوبوا ويرجِعوا إلى اللهِ عامِلينَ أعمالاً تليقُ بالتوبة.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥-٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوع إلى مدينةٍ من السامرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضيعةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسفَ ابنهِ* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العينِ وكان نحو الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامرةِ لتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشربَ* (فإنَّ تلاميذهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً)* فقالتْ لهُ المرأةُ السامريَّةُ كيف تطلبُ أن تشربَ مني وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريَّةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومَن الذي قال لكِ أعطيني لأشربَ لَطلبتِ أنتِ منهُ فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت له المرأةُ يا سيِّدُ إنَّهُ ليس معكَ ما تستقي به والبئرُ عميقةٌ. فمن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيته* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ من يشربُ من هذا الماءِ يعطش أيضاً. وأمَّا مَن يشرب مِنَ الماءِ الذي أنا أُعطيه له فلن

اعتبر باسيليوس ان الحياة الرهبانية هي صورة عن الحياة وفق الإنجيل. والوسيلة الأولى لتحقيق هذه الغاية هي نكران الذات، ليس كرهاً بالعالم ولكن حبًّا لله. والإنجيل لا يفصل محبتنا لله عن محبتنا للقريب، لذلك فإن الإنغلاق النسكي الذي يهدف إلى الخلاص الذاتي غير كاف، بل إنه ضد قانون المحبة التي لا تطلب ما لنفسها. أضف إلى ان مواهب الناسك الروحية لا تفيد اخوته، وغالباً ما تؤدي العزلة إلى التكبر. من أجل كل ذلك شدَّد القديس باسيليوس على حياة الشركة وعلى أهميَّة المحبة.

يعتبر القديس باسيليوس الكبير ان الأخوية المسيحية الأولى في أورشليم كما يصفها كتاب أعمال الرسل هي المثال لحياة الشركة التي يجب أن يُحتذى به. فالكنيسة الأولى هي جسد المسيح، والدير يجب أن يكون كنيسة صغيرة، جسداً صغيراً. ولأجل الوصول إلى هذا المثال على الرهبان أن ينذروا الطاعة والخضوع لرؤسائهم حتى الموت. الرئيس هو بمثابة المسيح نفسه الذي هو رأس الكنيسة، ولكي يثبت الجسد ويكتمل، على الأعضاء أن يخضعوا للرأس.

يعتبر باسيليوس أيضاً ان نذر الطهارة والعفة مهم جداً كسبيل لتنقية النفس، كما أن النذر الأساسي في الحياة الرهبانية هو المحبة التي تؤدي إلى عودة السلام إلى البشرية عندما تقترن بالخبرة الروحية.

يلعب الرئيس في الحياة الرهبانية الباسيلية دوراً أساسياً في قيادة الجماعة إلى هدفها، فهو رأس الكنيسة الصغيرة، كما ذكرنا سابقاً، وهو بمثابة «عين» الجماعة. ومسؤوليته تقوم على تمييز إرادة الله وإعلانها للجماعة، ومهمته أن يكتشف ما يريده الله من كل فرد في هذه الجماعة. فيه تتحقق الوحدة للوصول إلى الكمال المسيحي. إنه لا يحل محل السلطة الكنسيَّة بل يخضع لها ضمن نطاق سلطتها. أما على صعيد الليتورجيا والأسرار فإنه لا يتميَّز عن بقيَّة إخوته في المسيح.

لقد وضع القديس باسيليوس إذاً الكمال المسيحي هدفاً للحياة الرهبانية. فالرهبان يمارسون الفضائل الروحية معاً، وخاصة المحبة، ويمارسون الطاعة للأب الروحي ويحفظون العفة والفقر، ويتشاركون بخيرات الدير. وبعد أن يصلوا إلى الكمال المسيحي يُسمح لهم بالعودة إلى العالم لمساعدة الآخرين بالوصول إلى هذا الكمال. هكذا فللرهبان أيضاً مهمة العمل الاجتماعي، فالمؤسسات التي اسَّسها باسيليوس، والتي تُعرف بالمدينة الباسيلية، وكانت تتضمن إلى جانب الميتم مطبخاً للفقراء ومدرسة للأميين وملجأ للبرص وفندقاً وفي وسطهم كنيسة كان يديرها الرهبان. هذه كانت طريقة القديس باسيليوس لاستعمال الحركة الرهبانية لخدمة الكنيسة في العالم.

من أقوال القديس باسيليوس الكبير

+ يلتزم كلّ من آمن بالسيّد المسيح أن يتوب أي أن يرتدّ إلى الله كلّ مرة تفتر أو تتوتر أو تنقطع الصلة بينه وبين الله. والطريقة الفضلى للتوبة هي التي علّمها القديس يوحنا المعمدان والتي أوحى بها الإنجيل. والذين يرفضون التوبة بعد مجيء المسيح إلى الأرض فادياً ومخلصاً سيدانون بدينونة أشدّ قسوة من الذين سبقوا مجيء المسيح.

+ يصعب جداً التوفيق بين خدمة الله وبين الإهتمام المفرط بأمور تتنافى ومتطلّبات التقوى. هذا لا يعني الإعراض عن خيرات العالم، لكنّ السيّد يُلزم أتباعه بنبذ الاهتمام الزائد بها، وعدم الاهتمام بها إذ هو

يعطشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أعطيهِ لهُ يصيرُ فيه ينبوعَ ماءٍ ينبعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت له المرأةُ يا سيّدُ أعطني هذا الماء لكي لا أعطشَ ولا أجيءَ إلى هنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى هنا* أجابتِ المرأةُ وقالت إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسنتِ بقولكِ إنَّهُ لا رجلَ لي* فإنَّهُ كان لكِ خمسةُ رجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رَجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبلِ. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجد فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صَدِّقيني إنها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآبِ* أنتم تسجدون لما لا تعلَمون ونحن نسجدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكنْ تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضرةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجدونَ للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنما يطلبُ الساجدين له مثلَ هؤلاءِ* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجدون له فبالروح والحقِّ ينبغي أن يسجدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مسيَّا الذي يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبرنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معكِ هو* وعند ذلك جاء تلاميذه فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكِنْ لم

الخير الأسمى للإنسان. إنّ الله غيور ويريد أن تسمو محبته على كلّ شيء وعلى كل محبة.

إنجيل يهوذا

«لأنه سيقومُ مُسَحاءُ كَذَبَةٌ وأنبياءُ كَذَبَةٌ ويُعْطُونَ آياتٍ عظيمةً وعجائِبَ حتى يُضِلُّوا لو أمكنَ المُختارينَ أيضاً» (متى ٢٤:٢٤).

ظهرت في الآونة الأخيرة في بعض الوسائل الإعلامية المكتوبة والمرئية بعض المقالات والبرامج الوثائقية عما يُسمَّى إنجيل يهوذا الذي يدّعي كاتبه ان يهوذا الإسخريوطي لم يكن خائناً للرب يسوع إنما كان صديقاً ليسوع ومتعاوناً معه ينفذ ما يطلبه منه، وان خيانة يهوذا كانت بطلب من يسوع وذلك بهدف أن يموت يسوع بالجسد وتتحرَّر روحه إلى عالم سماوي خاص. وبالتالي يظهر عمل يهوذا كأنه عمل صديق حميم يقدِّم خدمة جليلة لصديقه.

لقد ثبَّت العلماء ان هذا المخطوط يعود إلى القرن الثالث، وان نِسَخَهُ الأولى ظهرت قبل ذلك بعشرات الأعوام، حتى ان القديس إيريناوس أسقف ليون (+١٨٥) يذكر إنجيل يهوذا ويصنفه بين كتب الهرطقات كونه يحوي فكراً كان يُعرف في تلك الأيام بالغنوصية أو العرفانية التي انتشرت في العالم اليوناني الروماني في القرن الثاني وسبَّبت مشاكل كثيرة للكنيسة، وهي التي دفعت المسيحية الناشئة إلى تحديد الكتب القانونية ودستور إيمانها ونظام مؤسساتها.

عارض آباء الكنيسة الأوَّلون تعاليم الغنوصية ومنهم إلى جانب القديس إيريناوس، القديس أبيفانيوس القبرصي (+٢٣٠) والقديس هيبوليتوس (+٣٧٥). وقد أبسلت الكنيسة كل من اعتقد بالغنوصية ومنهم ماركيون الذي علَّم ان المادة، بما فيها جسم الإنسان، شر مطلق، حتى أنه منع الناس من الزواج والإنجاب.

الكلمة «غنوصية» تأتي من كلمة يونانية تعني «المعرفة» لا بل «المعرفة السرية»، ويعلن الغنوصيون ان المعرفة السرية لها قوَّة الفداء، وهذه المعرفة لا تُكتسب بالتعلّم أو الإختبار بل بالإعلان الإلهي. أصول الغنوصية نجدها في الثنائية الفارسية وفي مثالية فلاسفة الأفلاطونية المتوسطة وفي رؤيوية بعض التصوّف العبري. كما أن هناك تشابهاً بينها وبين الفكر البابلي والمصري. إذاً جمعت الغنوصية عناصرها من الديانات المسيحية واليهودية ومن البِدَع الوثنية لتؤلف نظاماً فكرياً يضم حتى التنجيم والسحر ولا يعرفه إلاّ النخبة. جوهر هذا الفكر، الموجود في إنجيل يهوذا، يرتكز على المعرفة السرية للذات والتي تقود إلى الخلاص. تعتقد الغنوصية بوجود إله أعلى من إله العهد القديم، يرسل من وقت إلى آخر مرسلين (خيّرين) إلى الأرض حاملين رسالة سرية من أجل إرجاع البشر المسجونين من دون أمل في الظلمة. بالنسبة لهم، إله العهد القديم جاهل وأدنى مستوىً من إلههم، وهو مسؤول عن خلق أدنى عوالم الخليقة، أي الأرض، حيث ينوجد كل شر. الأشياء المادية، بما فيها الإنسان، شريرة، أو مكان لإقامة الشر ويجب الخروج منها. وهكذا فإن المسيح الأبدي في الفكر الغنوصي هو ابن لإله أعلى وليس ابن الله، إله العهد القديم، ولا يمكن أن يأخذ جسداً حقيقياً. بدلاً من ذلك، فقد دخل مؤقتاً في يسوع عند معموديته، ولاحقاً عند التسليم والآلام ترك جسده المادي وعاد إلى عالم النور.على هذا الأساس الفكري لا أهمية لموت المسيح الخلاصي وقيامته وبالتالي تمَّ

يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّم معها* فتركتِ المرأةُ جرَّتها ومضتْ إلى المدينة وقالت للناس* تعالوا انظروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ* ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي أثناء ذلكَ سألهُ تلاميذهُ قائلينَ يا معلِّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينهم ألعلَّ أحداً جاءهُ بما يأكلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أنْ أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني وأتمِّمَ عملهُ* ألستم تقولون أنتم إنَّهُ يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أناَ أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد أبيضت للحصاد* والذي يحصد يأخذ أُجرةً ويجمعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرحَ الزارعُ والحاصدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرعُ وآخرَ يحصِدُ* إني أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعبوا أنتم فيه* فإنَّ آخرينَ تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم* فآمنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجلِ كلامِ المرأةِ التي كانت تشهدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليه السامريونَ سألوهُ أن يُقيمَ عندهم. فمكثَ هناك يومين* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئكَ جدًّا من أجلِ كلامهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجلِ كلامِكِ نؤمن الآن. لأنَّنا نحنُ قد سمعنا ونعلمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالَم.

حذف هذه الأحداث الخلاصية كلياً مما يسمّى إنجيل يهوذا. والذي مات على الصليب ليس ابن الله، إنما فقط يسوع الإنسان الذي يُفترض ان جسده تحلّل إلى تراب. ما يهم من الوجهة الغنوصية ليس شخص يسوع المسيح المصلوب والقائم، بل البشارة الغنوصية، رسالة النظام الغنوصي السري الذي يؤمن أصحابه بالخلاص الذاتي عبر المعرفة الذاتية والوعي الذاتي والإرتقاء في معرفة النفس الإلهية الداخلية وإكتشافها.

أين الخطأ في هذا كله؟ نحن نعلم ان الرب يسوع علّم الناس علناً ولم يخفِ عن أحد شيئاً، وقد تطرّق للمواضيع الأكثر حساسية علناً دون تحفظ، مثل حفظ السبت وغسل الأيدي والتصرفات داخل الهيكل. حتى انه لما وقف أمام رئيس الكهنة قبل الصلب قال له: «أنا كلَّمتُ العالمَ علانيةً. أنا علَّمتُ كُلَّ حين في المجمعِ وفي الهيكلِ حيث يجتمعُ اليهودُ دائماً. وفي الخفاءِ لم أتكلَّم بشيءٍ» (يو ١٨:٢٠). هذه البشارة العلنية أجمعت عليها كل كتابات العهد الجديد التي تعود للقرن الأول الميلادي. فكيف يمكن أن يعطي الرب ليهوذا سراً لم يعلّمه لتلاميذه الآخرين؟ لا وجود لنخبة معيّنة في الأناجيل كما يدعي إنجيل يهوذا.

«أسرارَ ملكوتِ السموات» (متى ١١:١٣) التي نطق بها يسوع لم تكن تعاليم مجرَّدة. فهو علّم الجموع بمحبة الأعداء وكل الوصايا الأخرى العمليَّة في حياتنا. هذا هو الملكوت أن يحيا الإنسان الإنجيل وتعاليمه بنعمة الروح القدس.

بحسب الإنجيل المسيحي، العهد الجديد، فإن الرب يسوع هو جوهر الرسالة الخلاصية، والبشر والخطأة حصلوا على الخلاص من خلال تجسّد الرب الحقيقي وموته وقيامته وليس من خلال معرفة عقلية للذات. الخلاص الذي ناله البشر في العهد الجديد بيسوع المسيح ما هو إلاّ تحقيق لما تمَّ التهيئة له في العهد القديم. العهد القديم هو المربّي للوصول إلى العهد الجديد. مَن يريد أن يخلص فليحمل صليب الرب ويُطِعْ المسيح في شركة مع الكنيسة جسد الرب التي لديها مهمة نشر السلام والعدل في هذا العالم الذي يحبه الله.

الجسد البشري بحسب المفهوم المسيحي، على عكس مفهوم إنجيل يهوذا، هو مقدَّس ومُفتدى وممجَّد بقوة القيامة.

يبقى أخيراً موضوع خيانة يهوذا. لم تكن هذه الخيانة أساسية في موت الرب كما قد يظن البعض. فالرب لم يكن بحاجة إلى من يسلّمه لأنه كان يعلّم في العلن بين اليهود، وكان يمكن القبض عليه بكل سهولة دون الحاجة إلى مَن يدلّهم عليه. كما ان فكرة ان يسوع كان يسعى وراء موته يدحضها كلام يسوع في بستان الزيتون حيث طلب من الله إن كان بالإمكان أن تعبر عنه «هذه الكأس» (متى ٢٦:٣٩). إذاً خيانة يهوذا ذات معنى أخلاقي. وبالنسبة لنا نحن المسيحيين لو تاب يهوذا كما تاب بطرس الذي أنكر يسوع لكان الرب قَبِلَه برحمته، وهو الرب الذي غفر للذين يصلبونه.

يعلمنا الرسول بولس ان من بشَّر بغير البشارة التي «قبلتُم فليكُنْ أناثيما» (غلا ١:٩). هذا ما قاله قبل مئة وخمسين سنة من ظهور إنجيل يهوذا. لكن الشيطان حاول وسيحاول أن يُسقط المؤمنين وضعاف النفوس، فلنحذر من تجاربه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb